

الذكاء الاصطناعي والعلوم السياسية: أجندة بحثية جديدة
Artificial Intelligence and Political Science:
A New Research Agenda

محمد أمين بن جيلالي *، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان
mohammedamine.bendjilali@univ-tlemcen.dz

تاريخ الاستلام: 2025/03/06 تاريخ القبول: 2025/05/15

ملخص:

على ضوء التحول التكنولوجي العميق الذي أحدثته الطفرة النوعية في الذكاء الاصطناعي، افتقرت العلوم السياسية اليوم إلى أدوات مفاهيمية جديدة لطرح مقاربات نظرية بديلة لتفسير وفهم مستقبل الظواهر السياسية. فبالرغم من التطور المتسارع لحقل الذكاء الاصطناعي -سواءً من حيث وعوده المنتظرة أو مخاطره المحتملة- للعديد من الرهانات والقضايا التي تمسُّ بشكل مباشر النمذجة الخوارزمية للديمقراطية والسلوك الانتخابي والحوكمة ودور الدولة والسياسة الدولية والأمن الإنساني وصنع القرار في السياسات العامة؛ فإنَّ الذكاء الاصطناعي بالنسبة للعلوم السياسية ومنظريها يُعتبر أهمُّ الأجنات التي فرضت خصوصية الاستعجالية على البحث السياسي، خاصةً وأنَّ خبراء الذكاء الاصطناعي من جامعات عالمية مختلفة يؤكدون باستمرار على ضرورة انخراط هذا الحقل في الحياة السياسية.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي - العلاقات الدولية - السياسة المقارنة - الثورة الرقمية في الحقل - أتمتة العلوم السياسية.

* المؤلف المراسل

Abstract:

In light of the profound technological transformation brought about by the qualitative leap in artificial intelligence, political science today lacks new conceptual tools to propose alternative theoretical approaches for interpreting and understanding the future of political phenomena. Despite the rapid advancement of the field of artificial intelligence—whether in terms of its anticipated promises or potential risks—many pressing issues directly impact the algorithmic modeling of democracy, electoral behavior, governance, the role of the state, international politics, Human security, and decision-making in public policy. For political science and its theorists, artificial intelligence represents one of the most urgent agendas in political research, especially as experts in AI from various global universities increasingly emphasize the necessity of integrating this field into political life.

Keywords: Artificial intelligence (AI), international relations, comparative politics, the digital revolution in the field, Automation of political science.

تميّز المشهد العالمي اليوم بتحولات جذرية غير مسبوقة يقودها التقنيات المتطورة للذكاء الاصطناعي، التي كان لها التأثير العميق على العديد من الحقول المعرفية المختلفة ومن بينها حقل العلوم السياسية، والمؤشر الكبير على ذلك هو تغيّر الأجندة البحثية للحقل سواءً على المستوى المنهجي أو على الصعيد الموضوعي.

لقد أدّى التنامي السريع للذكاء الاصطناعي إلى ضرورة تغيير قناعة أعضاء مجتمع البحث في العلوم السياسية، وبالتالي حتمية النهوض بالحقل من حيث تغيير أدواته المفاهيمية وأطره النظرية فيما يتعلّق بدراسة الظواهر السياسية التي يُبرزها الذكاء الاصطناعي داخل مختلف فروع الحقل كالنظم السياسية المقارنة والعلاقات الدولية.

إنّ المراجعة الشاملة للأجندة البحثية للحقل، -التي تعني جملة القضايا والمحاور التي تحدّد اتجاهات البحث العلمي داخل حقل العلوم السياسية التي تتغيّر باستمرار وفقاً للتحوّلات العالمية والمعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتطورات في المناهج البحثية والتقنيات الجديدة- ارتبطت بتحدّي حالة العلوم السياسية في ظل التطور التقني، فأصبح الذكاء الاصطناعي فاعلاً رئيسياً في تحديد المواضيع الجديدة والبحث عن مفاهيم ونظريات متكيفة مع الوضع الراهن.

تهدف هذه الدراسة إلى استكشاف تغيّر الأجندة البحثية من خلال تحليل دور الذكاء الاصطناعي - ضمن إطار الوعود والحدود - في إعادة تشكيل الجهاز المفاهيمي والنظري التقليدي للعلوم السياسية وفقاً لأنماط جديدة للحكم وفي سياق هيمنة تكنولوجية متنافسة للقوى الكبرى.

بناءً عليه، تركّز الدراسة على اشكالية مركزية تدور حول تحليل دور الذكاء الاصطناعي في أحداث تحول داخل الأجندة البحثية للعلوم السياسية مقارنةً السؤال التالي: ما هي وعود الذكاء الاصطناعي وحدوده في حقل العلوم السياسية؟

يبرز التعريف الوظيفي للذكاء الاصطناعي بوصفه فاعلاً أساسياً محدثاً تغيراً منهجياً وموضوعياً على فروع حقل العلوم السياسية، وفقاً لثنائية الوعود والحدود.

انطلاقاً من الفرضية السابقة، يمكن أن نعتمد على هيكليّة خاصة للإجابة عن الاشكالية المركزية. فقد ركّز المحور الأول على دراسة ماهية الذكاء الاصطناعي وفقاً لتتبع أصوله الاشتقاقية واستعمالاته الدلالية ومناقشة مفهومه للوصول إلى بناء تصور شامل حوله يحدّد لنا مسوغات ارتباطه بالعلوم السياسية. أما المحور الثاني، فقد انكبّ على بحث الثورة الرقمية باعتبارها تشكّل البدايات الأولى لظهور الذكاء الاصطناعي وتجلياته في حقل العلوم السياسية. فيما يتعلق بالمحور الثالث، فقد خصصناه للتقريب عن أبرز المشاريع البحثية لمراكز الفكر العالمي، والتي درست العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والعلوم السياسية، ومحاولة تحليل دوافع تأسيسها المعرفي وتقديم رؤية نقدية حول منجزاتها البحثية. وأخيراً في المحور الرابع قمنا بإبراز أهم مؤشرات انعكاس دور الذكاء الاصطناعي على فروع الحقل المعرفي للعلوم السياسية من خلال التركيز على أهم المفاهيم والمواضيع والمناهج التي لامسها التغير في إطار ما يُعرف بالأجندة البحثية الجديدة.

أولاً: ماهية الذكاء الاصطناعي

في البداية لابدّ من إلقاء نظرة فاحصة على مصطلح "الذكاء الاصطناعي" Artificial Intelligence، الذي يُعرف اختصاراً بـ (AI). فمن حيث النشأة والتطور، تنحدر الجذور الالتيمولوجية لكلمة الذكاء intelligence من الأصل اللاتيني الذي يمكن الإشارة إليه في شقين: الشق الأول intel والذي يتماثل في الأساس مع "inter" أي (بين) والشق الثاني يُحيل إلى الفعل اللاتيني legere حيث اتخذ في البدايات الأولى لظهور الكلمة معنى الاختيار والانتقاء بمعنى القدرة على التمييز بين الأشياء وفهمها، وعليه اصطبح فيما بعد بدلالة الفهم أو الإدراك أو المعرفة. (Stephan De Spiegeleire, 2017, p. 26) من جهة أخرى ارتبط ظهور هذا المصطلح تاريخياً في منتصف القرن العشرين تحديداً، بسياق اهتمام العلماء المختصين في مجال ابتكار وتطوير الأنظمة الآلية الذكية، خاصة ما يتصل

بالتحكم الآلي ومعالجة البيانات الرقمية التي تقوم على السرعة والدقة في مخرجاتها، بمحاكاة الذكاء البشري في عملياته الفكرية والحسابية. لقد تزامن ظهور حقل الذكاء الاصطناعي مع تأسيس نظريات رياضية جديدة وُضفت في التعاطي الرقمي مع المعلومات بالإضافة إلى تطبيقات الذكاء الاصطناعي في علم الأعصاب Neuroscience. (Azeddine, 2024, p. 1216)

يعتبر جون ميكارثي John McCarthy (1927-2011) من الأوائل الذين شرعوا في الدراسة العلمية والمنظمة للذكاء الاصطناعي عام 1956، بالرغم من أنّ الصياغة الأولى للمصطلح كانت على يد الباحثين: مارفن مينسكي Marvin Minsky، كلود شانون Claude Shannon، ناثانيال روتشستر Nathaniel Rochester. (Rajaraman, 2014, p. 17) على الرغم من بروز الذكاء الاصطناعي كحقل أكاديمي مستقل إلا أنه واجه مجموعة من العقبات الابدستيمولوجية على المستوى المفاهيمي عطلت امكانية تكيفه مع الوضع البشري.

من هنا بقيت مشكلة تعريف الذكاء الاصطناعي قائمة نظراً للظرف غير المواتي لتأسيس تعريف موضوعي يُراعي التعالق بين التقني والانساني. "فتؤكد العلوم الاجتماعية والسياسية على التحديّات الأخلاقية والقانونية التي تواجه تبني الذكاء الاصطناعي؛ بينما تتجه الأبحاث في علوم الكمبيوتر إلى تسليط الضوء على الجوانب الحسابية والتشغيلية التي يجب مراعاتها". (Straub, p. 5)

فعلى الرغم من ذلك تُوجد حزمة من التعريفات القاموسية والموسوعية بإمكانها أن تقرّب لنا المعنى الحقيقي الذي لا يخلو من النسبية بطبيعة الحال والتي جلّها تتفق مع معيار التكنولوجيا الحيوية والبيئية الذي طوّره عالم الحاسوب نيلز جون نيلسون Nils John Nilsson. فيقدم قاموس أكسفورد الانجليزي الذكاء الاصطناعي على أنه "نظرية انبثقت لتطوير أنظمة كمبيوتر قادرة على أداء وظيفة تتطلب عادةً ذكاءً بشرياً، مثل الإدراك البصري والتعرف على الكلام واتخاذ القرار والترجمة بين اللغات". في المقابل تذهب الموسوعة البريطانية إلى أنّ الذكاء الاصطناعي يعبر عن "قدرة الروبوت الذي يتم التحكم فيه بالكمبيوتر على أداء مهام مرتبطة عادةً بالكائنات الذكية". (KOUROUPIS, 2023, pp. 575-576) على أساس التعريفات السابقة يمكن

استنتاج بأنّ المسألة ترتبط في بؤرتها التركيبية بعملية تحويل "الذكاء" من الانسان إلى الآلة.

على ضوء هذه المقدمات يمكن الإشارة إلى ملاحظة مهمة تتعلق بضرورة الافصاح عن عدم التطابق بين الذكاء الاصطناعي والذكاء البشري، نظراً لأنّ السياسة في الأصل تعبّر عن سلوك انساني معقّد على المستوى الفردي والجماهيري، لا تتسجم مواصفات هذا السلوك مع عمل الذكاء الاصطناعي، فهناك مقاومة كبيرة لمحاولة تحويل المسؤولية للأنظمة الآلية الذكية. (Cumming, June 2018, p. 1) يُبين هذا التحليل أنّ ظهور وتطور الذكاء الاصطناعي لم يكن مجرد قفزة تقنية فحسب، بل لابد أن يأتي كاستجابة لتداخل معقّد بين المعرفة الفلسفية والابتكارات العلمية والتحديات الاجتماعية الأخلاقية.

لذلك، ينبغي أن يتضمّن التعريف الشامل للذكاء الاصطناعي جانبين رئيسيين: من ناحية، مقارنة أكثر تركيزاً على الإنسان تتبنى العلوم التجريبية لفهم السلوك البشري؛ ومن ناحية أخرى، نهج آخر يركز على إنشاء نماذج رياضية وهندسية تمكّن من تحقيق مثل هذه السلوكيات بشكل مُصطنع. ويعترف هذا المنظور بتعقيد الذكاء الاصطناعي، والذي يتطلب تأزراً بين الطرق التي تركّز على الإنسان والهندسة والنمذجة الرياضية. (Battista, 2024, p. 10)

لا يخفى علينا بأنّ الذكاء الاصطناعي له خلفيات معرفية متباينة وأرضيات ثقافية مختلفة، تمتدّ إلى العديد من العلوم، **فالفلسفة** منذ أرسطو لفتت الانتباه إلى أنّ الذكاء الاصطناعي يمكن النظر إليه من زاوية تشابه العقل والآلة من خلال صياغة قوانين تحكم العقل. أما **علماء الرياضيات** فقد وضعوا الأساس لفهم الحوسبة والمنطق حول "الخوارزميات". فمن جهة أخرى، صاغ خبراء **الاقتصاد** مشكلة اتخاذ القرارات التي تعظم النتائج المتوقعة لصانع القرار. على صعيد آخر اكتشف **علماء الأعصاب** بعض الحقائق حول كيفية عمل الدماغ والطرق التي يتشابه بها مع أجهزة الكمبيوتر ويختلف عنها. أما **علماء النفس** فقد تبنا فكرة مفادها أنّ البشر والحيوانات يمكن اعتبارهم آلات معالجة للمعلومات. زيادةً على ذلك ولدت **اللغويات الحديثة** والذكاء الاصطناعي في نفس

الوقت تقريباً، ونشأتاً معاً، وتقاطعتا في مجال هجين يُسمى اللغويات الحاسوبية أو معالجة اللغة الطبيعية. بالإضافة إلى أن مهندسو الكمبيوتر قدّموا الآلات الأكثر قوة على الإطلاق والتي تجعل تطبيقات الذكاء الاصطناعي ممكنة. أما نظرية التحكم والسيبرنطيقا فاهتمت بتصميم الأجهزة التي تعمل بشكل مثالي على أساس ردود الفعل المتوقعة من البيئة. لقد تقدّم الذكاء الاصطناعي بشكل أسرع في العقد الماضي بسبب الاستخدام المتزايد للمنهج العلمي في التجريب والمقارنة. (Norvig, 2010, pp. 29-30) فكيف اذن تمت عملية تلاقي و"تخصّص" العلوم السياسية مع الذكاء الاصطناعي؟ ربما الإجابة عن هذا السؤال تأت في سياق عرض الآثار التي خلفتها الثورة الرقمية بصفة عامة والذكاء الاصطناعي تحديداً على العلوم السياسية.

ثانياً: الثورة الرقمية والعلوم السياسية

يُعدّ التحول الرقمي نموذجاً للتغيير التكنولوجي الذي سيكون له آثاراً هائلة على السياسة والمجتمع، الأمر الذي أحدث ثورة في كيفية فهمنا للسياسة وأنماط الحكم. تشكل الرقمنة digitalization بوصفها عملية تحويل رقمي للبيانات والتدفقات والعمليات والحسابات، مخاوفاً بشأن مستقبل الخصوصية والمراقبة والسيطرة وأسس الحكم الديمقراطي. بالتالي من شأن الرقمنة إعادة هيكلة الحياة الاجتماعية والسياسية. فمنذ ظهور الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، ناقش السوسيولوجيون بقوة وعود ومخاطر الرقمنة. لقد ولدت خصائص الرقمنة توقعات مختلفة في السياسة والعلوم الاجتماعية. فمن ناحية، غدّت القدرات التقنية للإنترنت التي من المنتظر أن تشكل ترياقاً للأمراض الديمقراطية. لقد بدت الانترنت أنها توفر أساليب جديدة لتعبئة وتنظيم الاحتجاجات الديمقراطية كما حدث أثناء الربيع العربي.

ومن ناحية أخرى، يعتقد البعض الآخر بأن الرقمنة من شأنها تفتيت الفضاء العمومي بإفراز ظواهر كخطاب الكراهية والتدخل في العمليات السياسية مثل الانتخابات وانتشار الجرائم الإلكترونية الدولية. (Marianne Kneuer, 2019, p. 7 and 10) بنظرة نقدية يمكن القول أنّ الرقمنة تؤثر على الحياة السياسية لكن لا يمكن اعتبارها في حد ذاتها مشكلة، وإنما يعتمد تقييم مخرجاتها على نمط توظيفها في السياقات السياسية المختلفة. ففي الأنظمة الديمقراطية، يمكن أن

تُساهم في تعزيز الشفافية وزيادة المشاركة المجتمعية، بينما قد تتحول في الأنظمة غير الديمقراطية إلى وسيلة للقمع والمراقبة.

لقد انعكست هذه الحالة التأثيرية للرقمنة على الواقع السياسي والاجتماعي ضمن تخصص العلوم السياسية حيث فرضت تحديات مختلفة على الحقل على مستوى أسلوب وطريقة التفكير من حيث مدى توسيع نطاق البحث والأدوات المتاحة، أو على صعيد كيفية تفاعل التخصص مع تحديات العصر الرقمي والاستجابة له مستقبلاً، أيضاً من حيث مدى الحاجة إلى نظريات ومفاهيم جديدة والاستعانة بتخصصات مجاورة لفهم آثار التحول الرقمي على العالم المعاصر. بالإضافة إلى ما تطرحه الرقمنة من رهان أساسي على مستوى تدريس العلوم السياسية حيث يمكن أن تشكل فرصة للتطوير الأكاديمي للتخصص. (Marianne Kneuer, 2019, pp. 10-11) لم يعد يقتصر دور الرقمنة على الحضور داخل المستوى التحليلي للظواهر السياسية بل تغلغت وظيفتها ضمن بنية الممارسة السياسية. بناءً عليه ينبغي أن يتخطى تدريس العلوم السياسية، وبالأخص مجال الهندسة السياسية الحدود التقليدية ليشمل موضوعات مثل تحليل البيانات الرقمية وإعادة تصميم المؤسسات الذكية وإدارة التهديدات السيبرانية ومحاولة فهم التأثير المتنامي للخوارزميات على العملية السياسية.

كما لا ننسى بأنّ مناهج الذكاء الاصطناعي، حسب الخبير في الشؤون الأمنية والاستراتيجية محند برقوق، قد استخدمت من قبل النموذج الرائد في العلوم السياسية المعاصرة الذي يُعرف بـ "الهندسة السياسية" من خلال توظيف متغيرات نوعية (حقوق الانسان) ثم تكميمها. لكن هل يوجد موقف سياسي للذكاء الاصطناعي؟ لا يُعتبر الذكاء الاصطناعي فاعلاً سياسياً مستقلاً لكن أيضاً ليس كياناً محايداً، فهو يعبر عن التحيزات السياسية التي تتجسد في البيانات التي يُدرَّب عليها والخوارزميات التي تُطوَّر به. هذا بالرغم من تقاطع مسارات مقارنة الذكاء الاصطناعي مع المقاربة التحليلية للنظام السياسي [التي هي من نحت الانسان] في غاية واحدة وهي رفاهية الانسان. فالأول، يسعى إلى تلبية احتياجات المجتمع الانساني المستعجلة. أما الثاني، النظام السياسي فهمته الغائية انتاج دولة الرفاه التي تمكن الانسان من حقوقه الاقتصادية والاجتماعية.

الا أن أدوات الذكاء الاصطناعي يتم توظيفها في العمليات السياسية لإحداث تغييرات جذرية في المشهد السياسي والاجتماعي.

وفقاً لذلك يتعين على النظرية السياسية أن تفهم عواقب التحول الرقمي الكبير والتحديات المحتملة التي سيفرضها صعود الذكاء الاصطناعي على البشرية. إن التهديد والتحدّي الأكبر للخطاب السياسي في عصر الذكاء الاصطناعي سيكون تأكيد استقلالية الانسان. لأنّ الاعتماد المتزايد للبشر على الذكاء الاصطناعي في أنشطتهم اليومية وهيمنة تطبيقات الذكاء الاصطناعي التي تم إنشاؤها سيشكّل تحدياً لاستقلالية الارادة البشرية في المجالات السياسية والاجتماعية. اذا بدت التطبيقات والتطبيقات الجديدة القائمة على الذكاء الاصطناعي أكثر ذكاءً من الإنسان، فهل يمكن أن يشكّل ذلك انقلاباً على الطبيعة البشرية؟ يتفق المؤرخون بأنّ صعود الذكاء الاصطناعي سيمثل نهاية للتاريخ البشري، لكن الخطر الحقيقي يأتي من إساءة البشرية استخدام تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي لأغراض ضارة مثل إنشاء آلات الحرب والأسلحة والفيروسات. (Singh, 2024, pp. 332-333) فالسؤال الاتي الأجدر بالطرح والأكثر أهمية ابستمية وأخلاقية في راهننا البشري والذي يجب البحث عنه هو ليس ما إذا كان يملك الذكاء الاصطناعي موقفاً سياسياً، وإنما من يملك أدواته ومن يستطيع التحكم فيه وكيف يتم توظيفه.

ثالثاً: مراكز الفكر والمشروع البحثي للذكاء الاصطناعي في العلوم السياسية

لعب متغير التكنولوجيا دوراً هاماً في تغيير موضوعات حقل العلوم السياسية بفروعه المختلفة، خاصة فيما يتصل بفحص العلاقة التفسيرية بين الذكاء الاصطناعي وتأثيره على العلوم السياسية، حيث نهضت أبحاث وتقارير عديدة من أجل تتبّع هذه العلاقة ودراسة تطورها واستشراف مستقبلها من خلال طرح مشاريع معرفية وذلك في إطار مؤسسات بحثية عُرِفَت بمراكز الفكر Think Thanks والأبحاث المنتشرة على مستوى مختلف الجامعات العالمية. من أهم هذه المشاريع يمكن الإشارة إليها في الآتي:

-الذكاء الاصطناعي والأمن القومي، غريغ آلان Greg Allen. تانيل تشان Taniel Chan. مركز بيلفر للعلوم والشؤون الدولية، كلية هارفارد كينيدي.

جويلية 2017. ركز هذا المشروع على توجيه السياسات المستقبلية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي والأمن القومي لضمان التفوق التكنولوجي الأمريكي ليغدو تفوقها نموذجاً تاريخياً لتطورات تقنية بارزة في مجالات السلاح النووي والفضاء والأمن السيبراني والتكنولوجيا الحيوية (Chan, JULY 2017, p. 7).

-حروب لا أحد: الذكاء الاصطناعي ومستقبل الصراع، كان كاسابوغلو Can Kasapoğlu وباريش كيرديمير Barış Kirdemir. مركز دراسات الاقتصاد والسياسة الخارجية. ماي 2019. يناقش الجزء الأول من التقرير مدى إمكانية تأثير الذكاء الاصطناعي في التنوع البيولوجي غير المسبوق الناتج عن "الانفجار الكامبري" Cambrian Explosion منذ ملايين السنين، ثم ينتقل إلى تقييم الآثار السياسية القصيرة المدى لثورة الذكاء الاصطناعي وأخيراً تسليط الضوء على الجغرافية السياسية للذكاء الاصطناعي. (Kirdemir, May 2019, p. 3)

-الذكاء الاصطناعي والاستبداد ومستقبل الأنظمة السياسية. ح. أكين أونفر H. Akin Ünver. 2018. نفس المركز السابق. تدور الدراسة حول التأثير السياسي للذكاء الاصطناعي، وما إذا كانت الخوارزميات ستعزز الديمقراطية أو الاستبداد مستقبلاً. (Ünver, July 2018, p. 16)

-الذكاء الاصطناعي والعلوم السياسية. ألفريدو جي. أ. فالاداو Alfredo G. A. Valladão. مركز السياسات من أجل جنوب جديد. الرباط (المغرب)، سبتمبر 2018. تهدف هذه الورقة إلى الإسهام في الجهود المبذولة لتأسيس مفاهيم جديدة للعلوم السياسية والاجتماعية "الرقمية" في القرن الحادي والعشرين، من خلال استثمار معطيات العلوم المعرفية ورؤى الذكاء الاصطناعي واستشراف التحديات التي تواجه نظم الحكم والإدارة في العصر الرقمي. (Valladão, September 2018, p. 7)

- تقرير Chatham House الذكاء الاصطناعي والشؤون الدولية: الاضطراب المنتظر. بالمعهد الملكي للشؤون الدولية. لندن. جوان 2018، يركز هذا التقرير على حالة الأمن الانساني في ظل التطور الهائل للذكاء الاصطناعي، فيفترض بأن التكنولوجيا ليست محايدة بل هي من صنع الانسان وتسترشد بقيم معينة، فالأمن الانساني ليس بمنأى عن اختراق الخصوصية فيما يرتبط بتطبيقات

الاغاثة من الكوارث ومنع الصراعات وحماية حقوق الانسان والعدالة. (M. L. Cummings, June 2018, p. 27)

يعود الدافع الرئيسي للنهوض بهذه المبادرات البحثية الى الخوف والتوجس من أن يؤدي تطوير الذكاء الاصطناعي والتغيرات التي يحدثها اليوم إلى تحويل العمليات السياسية، وفرض تهديدات جديدة على الأنظمة السياسية ونسق العلاقات الدولية بأكمله. لذلك، "تُنجز مؤسسات بحثية ومعاهد علمية العديد من الدراسات والأبحاث والتقارير مثل كلية هارفارد كينيدي لإعادة التفكير في "السياسة في العالم الرقمي". (Jafarova, 2024, p. 58 and 66)

تتطوي الرؤية العامة لمراكز الفكر للعلاقة بين الذكاء الاصطناعي بالعلوم السياسية على اعطاء الأولوية للتقني والاحصائي على حساب الأطر الاجتماعية والسياسية المتشابكة التي تحتاج كذلك إلى تحليل نوعي، مما يجعلنا أمام رؤية خالية من النقد للظواهر السياسية كالشرعية والسلطة والهيمنة، هذا ولا نغفل بأن هذه المراكز تسعى نحو التوظيف السياسي للذكاء الاصطناعي لصالح قوى مهيمنة.

رابعاً: تجليات تأثير الذكاء الاصطناعي على فروع العلوم السياسية

1-النظم السياسية المقارنة

طُرِح سؤال عن كيفية تغيّر الأنظمة السياسية حيث جاءت الاجابة عن هذه المسألة داخل حقل السياسة المقارنة من خلال مقارنة قدّمها الأستاذ صامويل هنتنغتون Huntington عندما فسّر ظهور الأنماط الجديدة وفقاً للتغيرات الحاصلة في السياقات النظمية، لكنها اتسمت على مدى القرنين الماضيين بدينامية واحدة تتمثل في وجود ثلاث موجات للتحوّل الديمقراطي في العالم المعاصر وكل موجة تتبّعها موجة عكسية من الاستبداد المتنامي، فالعالم اليوم يعيش "الموجة العكسية" الثالثة The third reverse wave من الاستبداد المتزايد الوتيرة. ظلّت كل موجة عكسية من الاستبداد المتزايد مصحوبةً بشكل تاريخي جديد من الاستبداد: فظهرت الفاشية في عشرينيات القرن العشرين؛ والاستبداد البيروقراطي في ستينيات القرن العشرين. والآن مع الموجة العكسية الحالية؟ لم تكن الأنظمة الاستبدادية أو الهجينة فعّالة مثل الديمقراطيات الليبرالية في جعل مواطني الدول الصناعية الكبرى أغنياء بشكل مستدام. إنّ

التقنيات المرتبطة بالذكاء الاصطناعي توفر سبباً معقولاً وملموساً لهذه الاختلافات. إنَّ الاستبداد الرقمي الذي يغذيه الذكاء الاصطناعي يُتيح نهجاً قد يبدو مناسباً لاحتياجات العصر. من الملفت للنظر أنَّ ورقة هنتغتون لعام 1991 تتبَّأت بأنَّ "الموجة العكسية" الثالثة المحتملة قد تنطوي على "دكتاتورية إلكترونية" electronic dictatorship، تؤكد مؤسسة "فريدوم هاوس" Freedom House بأنَّ العقد الماضي شهد تراجعاً في الديمقراطيات وارتفاعاً في الدول غير الحرة، مع بروز شكل جديد من الأنظمة السياسية يعبر عن الاستبداد الرقمي digital authoritarianism (Wrigh, 2019, pp. 24-23) الذي يعني نمط جديد من أنماط السيطرة والمراقبة المستندة إلى استخدام الذكاء الاصطناعي والتقنيات الرقمية الحديثة من أجل تقويض الحريات الفردية بأشكالها مثل الخصوصية وحرية التعبير، وكذا قمع الأصوات المناوئة للسلطة السياسية وفرض حدود قانونية على الفضاء الرقمي، ... الخ.

إذا تحدثنا عن النماذج النظامية الموسومة بالنمط الرقمي سنتطرق للحالة الصينية التي استفاد نظامها السياسي من وعود الذكاء الاصطناعي من حيث تقليل التكاليف (التخفيف من العبء الاقتصادي للجهاز الاستبدادي في عملية الرقابة) وتعزيز فعالية الرقابة (لإمكانية التنبؤ بالمرض، بالتالي التحكم في السلوك كالرعاية الصحية) والسيطرة السلوكية (كبح المناقشات والأنشطة المناهضة للنظام). (Wrigh, 2019, pp. 27-28) حيث تُصنف مؤسسة فريدوم هاوس الصين باعتبارها أسوأ دولة في العالم منتهكةً لحرية الإنترنت بشكل عام، فيهدف مخطط "ائتمان المواطن" citizen credit الذي أُعلن عنه في عام 2014 إلى حساب مقاييس مختلفة لحسن سلوك كل مواطن. بالرغم من ذلك تظل امكانية مناقشة نية صانع القرار داخل النظام السياسي الصيني قائمة، ما إن كان متجهاً نحو الاستبداد الرقمي من عدمه. (Wrigh, 2019, pp. 30-31) أما الحالة الروسية، لا تمتلك روسيا نفس نوع النظام السياسي المحلي الموجود في الصين. جَمَعَ النموذج الهجين في روسيا بين سمات الديمقراطية والاستبداد منتصف التسعينات حيث تميَّز بأنه أقل استبدادية، بالرغم من أنه اتجه نحو تغليب الديكتاتورية الحزبية الواحدة منذ بداية فترة بوتين مطلع الألفية. لا تمتلك

روسيا أي شيء يقترب من عمالقة التكنولوجيا الصينيين، وبالتالي فإن قدرات المراقبة الأوسع التي طورتها محلياً باستخدام تقنيات مرتبطة بالذكاء الاصطناعي ستكون مقيّدة بشكل أكبر. بالرغم من المراقبة المحلية المكثفة لأنشطة المواطنين عبر الإنترنت التي يقوم بها النظام الروسي. (Wrigh, 2019, pp. 31-32) تتفق كل من الصين وروسيا على اتباع نموذج الاستبداد الرقمي لكن تختلفان في استراتيجيات تفعيله نظراً لخصوصية النظام السياسي في كل بلد. فبينما تسعى الصين لتصدير نموذجها إلى الأنظمة الاستبدادية، تفضل روسيا التأثير من خلاله على الديناميات السياسية التنافسية للقوى الكبرى.

فعلى خلاف الحالات السابقة يوجد حالة الديمقراطية الليبرالية الرقمية التي تعكسها **الوضعية الأمريكية**، فمن منظور مقارن نجد أنّ استجابة الديمقراطية الراسخة مثل الولايات المتحدة الأمريكية لصعود الاستبداد الرقمي في الصين يبدو من وجهة نظر تنافسية مواجهةً لتهديد خارجي، فمن المفارقات أن يعزّز هذا التحديّ الخارجي الديمقراطية الليبرالية القائمة على أساس الاستمرار والاستقرار، انطلاقاً من أنّ هذه الأخيرة تلفظ قيم المراقبة والسيطرة ولا تقبلها داخل منظومتها الخاصة. خصوصاً بعد تغيير مارك زوكربيرغ Mark Zuckerberg مؤسس فيسبوك شعاره عام 2014 من "تحرك بسرعة وحطم الأشياء" إلى "تحرك بسرعة مع بنية تحتية مستقرة". (Wrigh, 2019, pp. 32-33)

-مفهوم الدولة:

مع الانتشار المتزايد للذكاء الاصطناعي، تأثرت سيادة الدولة من جراء ذلك بشكل بارز. من حيث دوره في تشكيلها، والتحديّ الذي يفرضه على المفاهيم التقليدية لسلطة الدولة. بالرغم من أنّ الذكاء الاصطناعي يتمتع بالقدرة على تحديّ وتعزيز سيادة الدولة في الآن ذاته. يمكن أن يتجاوز استخدام التقنيات التي يدعمها الذكاء الاصطناعي مثل الهجمات الإلكترونية حدود الدولة وبالتالي يقوض المفاهيم التقليدية لسلطة الدولة. وبهذا المعنى، قد يؤدي الذكاء الاصطناعي إلى تآكل سيادة الدولة، لأنه يمكن الفواعل غير الحكومية من ممارسة السلطة والتأثير بطرق لم تكن ممكنة من قبل. وفي الوقت نفسه، تُستخدم الدول الذكاء الاصطناعي أيضاً لتعزيز قدراتها على المراقبة وتعزيز

سيطرتها على أقاليمها وسكانها. إنّ استخدام الذكاء الاصطناعي في مراقبة الحدود وسياسات الهجرة، على سبيل المثال، مكّن الدول من تنظيم حدودها بشكل أكثر فعالية والتحكم في حركة الأشخاص والبضائع. وبهذا المعنى، يُنظر إلى الذكاء الاصطناعي على أنه يعزّز سيادة الدولة. لقد أدّت التقنيات التي يدعمها الذكاء الاصطناعي مثل وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات عبر الإنترنت إلى ظهور أشكال جديدة من القوة والتأثير (Usman, pp. 144-145)، من هنا برز مفهوم القوة الذكية smart power في حقل العلاقات الدولية الذي يُقصد به مفهوم بديل للاعتماد الحصري على القوة الصلبة أو القوة الناعمة، فهي مزيج مثالي بينهما. لا يمكن للدول تحقيق أقصى قدر من النفوذ إلا بالاعتماد على القوة الذكية بدلاً من الاعتماد حصرياً أو بشكل كبير على القوة الناعمة أو الصلبة. وبالتالي، نظراً لتناقض المنفعة الحدية للقوة الصلبة والناعمة، فهناك حافز كبير من جانب الدول لتبني استراتيجيات القوة الذكية من أجل تعظيم النفوذ في النظام العالمي. (Gallarotti, 2015, p. 259).

والتي يمكن أن تمارسها الفواعل غير الحكومية مثل الشركات والأفراد وحتى الآلات. إنّ هذه الأشكال الجديدة من القوة تتحدّى المفاهيم التقليدية لسلطة الدولة، حيث لم تعد الدول المصدر الوحيد للقوة والنفوذ في النظام الدولي. في المقابل، إنّ أحد أهم التحديات التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على سيادة الدولة هو صعود الأسلحة المستقلة autonomous weapons التي تُعرف على أنها أنظمة مدعومة بالذكاء الاصطناعي يمكنها تحديد الأهداف والاشتباك معها دون تدخل بشري. انتشار هذا النوع من الأسلحة يُثير تساؤلات عدّة حول قدرة الدولة على التحكم في استخدام القوة وحماية مواطنيها. (Usman, pp. 144-145) في العصر الرقمي، اذن لم تعد الدولة هي الفاعل الوحيد في عملية صنع القرارات بل تدخلت فواعل تقنية مثل منصات التواصل الاجتماعي والشركات المسيّرة لها، والتي باتت تشكّل هي الأخرى الحجر الأساس في العملية السياسية.

قبل الحديث عن وظائف الدولة في عصر الذكاء الاصطناعي، لا بد من إشارة خاطفة إلى دور الدولة في حوكمة الذكاء الاصطناعي، فيمكن تصور هذا الدور بطرق مختلفة. فمن الناحية المفاهيمية بإمكاننا أن نميّز بين بُعدين

تحليلين: أولاً، يمكن للحكومات أن تلعب دوراً استباقياً في تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي (تدخل الدولة القوي)، أو تتخذ موقفاً أكثر سلبية من خلال التراجع واعطائها لفواعل القطاع الخاص أكبر قدر من الحرية في حوكمة الذكاء الاصطناعي (تدخل الدولة الضعيف). ثانياً، يمكن للحكومات التركيز على تنظيم المخاطر المحتملة لتقنيات الذكاء الاصطناعي (مقاربة الاحتواء والتحكم)، أو يمكنها إعطاء الأولوية لنشر الذكاء الاصطناعي ورؤية دورها في المقام الأول في تعزيز تطويره (مقاربة التحفيز). (Djeffal, 2022, p. 1801) على الضفة المقابلة يمكن التنبيه إلى أن وظائف الدولة؛ كالأمن والاقتصاد والعدالة وآليات توفير الخدمات العامة، يمكنها أن تتأثر بتقنيات الذكاء الاصطناعي. فيمكن للذكاء الاصطناعي إعادة صياغة دور الدولة في المجالات السياسية والإدارية والاقتصادية وحتى الأمنية في الاتجاه السليم بشرط توظيفه للمصالح العام. لكن على العكس من ذلك بإمكانه أن يفقد سيادة الدولة نتيجة لتزايد نفوذ الشركات التكنولوجية الكبرى.

- مفهوم الديمقراطية:

إنّ الاستخدام الخاطئ للتكنولوجيات الجديدة يمكن أن يؤثر على الديمقراطية، فاستخدام الذكاء الاصطناعي كأداة لإنتاج ونشر معلومات مضلّة بإمكانه أن يشكّل عائقاً كبيراً للعملية الانتخابية وتهديداً خطيراً للقيم العامة للديمقراطية وسيادة القانون وحرية الانتخابات. (Brkan, 2019, p. 66) هناك ثلاثة مستويات تحليلية لدراسة العلاقة بين الذكاء الاصطناعي والديمقراطية: المستوى الفردي، فيؤثر الذكاء الاصطناعي على ظروف المواطنين وفرصهم في المشاركة السياسية، على مستوى الجماعة، يمنح الذكاء الاصطناعي بعض المجموعات ميزة تنافسية ويتحدّى المساواة في الحقوق فيما بينها؛ على المستوى المؤسسي، يؤثر الذكاء الاصطناعي على استقلالية الدولة في تقديم الخدمات للمواطنين. وقد أدّت هذه المستويات إلى دعوات لإضفاء الطابع الديمقراطي على الذكاء الاصطناعي، والذي يُفهم هنا في أربعة أبعاد: الاستخدام والتطوير والفوائد والحوكمة. بعبارة أخرى، ينبغي أن يؤدي الوصول الأوسع إلى الذكاء الاصطناعي واستخدامه، فضلاً عن تطويره والحوكمة الشاملة له، إلى توزيع أكثر إنصافاً لفوائده. (Duberry, 2024, pp. 3-4) لكن في المقابل يمكن أن

يشكّل الذكاء الاصطناعي نوعاً من الاستعصاء الديمقراطي عندما تتصل المسألة باستخدامه من أجل التضليل المعلوماتي والتحيز في مخرجاته الخوارزمية الأمر الذي سيضع الشفافية والمصادقية في العملية الانتخابية مثلاً أمراً صعب التحقق. فبالرغم من أن الذكاء الاصطناعي قد أحدث تحولاً جذرياً في العملية الانتخابية، إذ يُستخدم في تصميم الحملات الانتخابية من خلال تحليل سلوك الناخبين. كما يُوظف لرصد الرأي العام والتنبؤ بالنتائج الانتخابية. إضافةً إلى أنه يسرّع عملية فرز الأصوات بدقة فائقة. ومع ذلك، يثير هذا الاستخدام قضايا مهمة تتعلق بإمكانية التأثير على الوعي الانتخابي ونشر المعلومات المضللة، مما يستدعي ضرورة وجود آليات رقابية تضمن الشفافية وتحافظ على نزاهة العملية الديمقراطية.

إنّ الدولة الحديثة المنشودة هي الدولة الدستورية الديمقراطية، إلا أنّ هناك نظاماً استبدادياً وفردانياً مقاوماً للأنظمة الديمقراطية في العالم بشتى الوسائل. لذلك تُعتبر تطبيقات الذكاء الاصطناعي إحدى الآليات المستخدمة للإبقاء على الأنظمة الاستبدادية مستديمةً في سيطرتها، كما ورد في كتاب جورج أورويل George Orwell (1949)، اذن سيكون النظام الاستبدادي القمعي قادراً على الحفاظ على السيطرة على الجماهير الخاضعة لسيطرتها، والتلاعب بها وحتى مع إنشاء واقع افتراضي رقمي كما في فيلم ماتريكس Matrix movie. على هذا الأساس يذكر ويليام جيه دوبسون William J. Dobson (2012) في كتابه منحنى تعلم الدكتاتور: داخل المعركة العالمية من أجل الديمقراطية The Dictator's Learning Curve: Inside the Global Battle for Democracy، بأنّ الدكتاتوريين قادرين على التكيف مع التقنيات الجديدة في العالم ومواصلة تحديّ تقدم الديمقراطية. - (ALACA, January 2019, pp. 12-13)

-الاتصال السياسي:

لقد فتح التطور السريع للذكاء الاصطناعي آفاقاً مختلفة وقضايا مثيرة للاهتمام تتعلق بنشر المعلومات السياسية واستهلاكها. في هذا السياق، نواجه تحديات تتعلّق بالتحقق من المصدر، والتلاعب بالمعلومات، والوصول العادل إلى الأخبار، وخلق بيئة معلومات جديرة بالثقة. تتطلب هذه التطورات تفكيراً عميقاً

في قدرة الذكاء الاصطناعي على تشكيل عملية الاتصال السياسي والتأثير عليها وكيف يمكن تبني استراتيجيات فعالة لضمان خطاب سياسي مستدير وشفاف في عصر الذكاء الاصطناعي (Battista, 2024, p. 9) أيضاً لا ننسى أهمية صياغة ضوابط تنظيمية لاستخدامات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تقلل من التأثير السلبي على الرأي العام في ادراكه لمختلف العمليات السياسية.

لازال الذكاء الاصطناعي يلعب دوراً مهماً في إثراء المشاركة الديمقراطية وتسهيل اتخاذ القرارات السياسية القائمة على البيانات. ومع ذلك، فإنّ اتخاذ تدابير وقائية لتجنب تشويه العملية السياسية أمر ضروري بنفس القدر. وهذا هو الحال مع التزييف العميق، الذي يمثل مظهرًا ملموسًا لعمليتين مترابطتين. من ناحية، أدّى التقدم التكنولوجي السريع، القائم على استخدام الذكاء الاصطناعي وإدارة البيانات الضخمة، إلى توليد تطبيقات يفلت تأثيرها على المجال الاجتماعي إلى حد كبير من السيطرة.

من ناحية أخرى، نشأ نظام بيئي إعلامي معقد حيث أصبح من الصعب بشكل متزايد التمييز بين ما هو حقيقي وما هو مزيف، مما أدّى إلى نشوء مجتمع تشكّله الصور المزيفة والمحاكاة، بما يتماشى مع رؤية الفيلسوف الفرنسي جان بودريار Jean Baudrillard من سبعينيات القرن العشرين. تمثل هذه الظاهرة أحد التحديات الأساسية في العصر الحديث، حيث أصبحت التمثيلات والحقائق متشابكة ومتداخلة بشكل معقد.

في هذا السياق، تم تشويه مفهوم الأصالة حيث أصبح الواقع نفسه عرضةً للتلاعب والتأويل بشكل متزايد. لقد مكّنت التقنيات الجديدة، وخاصة الذكاء الاصطناعي، من إنشاء محتوى قد يكون من الصعب تمييزه عن الواقع، إنّ لم يكن من المستحيل التعرف عليه، دون استخدام أدوات متخصصة. أدّت بيئة الصور المزيفة والمحاكاة هذه إلى جعل ما هو "حقيقي" قضية معقدة ومثيرة للجدل. يمكن إنشاء التمثيلات والسرد وتغييرها ونشرها بسهولة، غالباً للترويج لوجهات نظر معينة أو التلاعب بالرأي العام. تؤكد نظرية بودريار على كيفية تأثير هذا الخلط بين الواقع والتمثيل بشكل عميق على فهمنا للعالم وقدرتنا على اتخاذ قرارات رشيدة. في عصر حيث المعلومات وفيرة ولكنها غالباً ما تكون مزيفة، اذن يصبح من الضروري تطوير المهارات الحاسمة للتنقل في بيئة المحاكاة

هذه للحفاظ على الثقة في المؤسسات ومصادر المعلومات ومفهوم الواقع ذاته (Battista, 2024, pp. 17-18). من هنا لم تعد السياسة في الزمن الراهن تُمارس حصراً على أرض الواقع، بل أصبحت تُدار في الفضاء الرقمي الذي يتميز بطبيعته المعقدة باحتوائه على مزيج من الحقيقة والتضليل. وفي هذا السياق، تبرز أهمية المواطنة الرقمية، التي تقوم على وعي الأفراد بالتكنولوجيا وممارستها بشكل مسؤول وأخلاقي، بما يعزز مشاركتهم الواعية في الحياة العامة. لقد أدى تزايد الاعتماد على الذكاء الاصطناعي إلى إعادة تشكيل الفعل السياسي، حيث لم يعد الفرد مجرد متلقٍ، بل بات جزءاً من منظومة تؤثر فيها الخوارزميات على الآراء والخيارات السياسية، مما يستدعي إرساء قواعد قانونية وأخلاقية تحمي المواطنين من التلاعب وتكفل مشاركة عادلة وشاملة في الفضاء العمومي الرقمي.

2. العلاقات الدولية

-دور متغير التكنولوجيا:

يقدم الباحث توماس ستيبين Tomasz Stepień دراسة حول المنعطف التكنولوجي والإطار الجديد لحقل العلاقات الدولية، حيث يفترض من خلالها بأن العلاقات الدولية باعتبارها فرعاً من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، تحتاج تصميمًا نظرياً متجدداً، يستجيب بشكل مناسب للتغيرات التي أحدثتها التكنولوجيا في المجتمعات المعاصرة. زيادةً على ذلك، يحدد التطور التكنولوجي الإطار الجديد للحياة الاجتماعية والدولية التي تتميز بالتشبيك والترابط والاعتماد المتبادل. ونتيجةً لهذا، أصبحت تكنولوجيات الاتصال الجديدة أو التكنولوجيات المتقاربة converging technologies مثل "النانو" nano والتكنولوجيا الحيوية "فاعلين" actors جددًا في العلاقات الدولية (Stepień, 2016, p. 2). هل سَتُعِيد التكنولوجيا تشكيل منطق العلاقات الدولية بطريقتها الخاصة؟ هل من يمتلك التكنولوجيا هو الذي يتحكم في مسار العلاقات الدولية مستقبلاً؟

يعدّ الذكاء الاصطناعي تقنيةً استراتيجيةً ستقود المستقبل. بالتالي، ستشكل الدول الكبرى المتنافسة (الولايات المتحدة الأمريكية، الصين،

روسيا) في مجال الذكاء الاصطناعي أيضاً مستقبلاً البشر. ستكون قادرة على البقاء في النظام الدولي دون إحداث تغيير في مفهوم القوة العظمى. لأن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي ستوفر التفوق العسكري والمعلوماتي والاقتصادي. وستستمر الدول الأخرى في حماية أمنها الوطني من خلال إعداد نفسها للمخاطر الأمنية التي قد تنشأ عن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي. لأن هذه التهديدات يمكن أن تأتي من دول أخرى وكذلك من فواعل غير حكومية، كالجماعات التي غيرت من تكتيك هجومها باعتمادها نظام الطائرات بدون طيار. (ALACA, January 2019, pp. 20-21) إن تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي بما تحمله مضامينها من فلسفة تقنية سيبرنيطيقة استطاعت أن تُضفي طابعاً راديكالياً على مفهوم الأمن القومي بإحداثها نقلة نوعية إلى مفهوم جديد هو مفهوم الأمن السيبراني.

-تغيير وتحول بنية النظام الدولي والذكاء الاصطناعي

تُعتبر قضايا القوة المتعلقة بالشؤون العسكرية والحرب والدراسات الاستراتيجية والفضاء السيبراني بؤرة التركيز المحورية في حقل العلاقات الدولية بعد تأثره بتغيير التكنولوجيا، لكن الدراسات السابقة اهتمت ببعد واحد للقوة فقط ولم تستخدم المفهوم الشامل له في فهم توزيع القوة وأنماط العلاقات الناتجة عن هذا التوزيع خاصة بعد عام 2000، (Granados, 2021, pp. 1-2) حيث برز جلياً الذكاء الاصطناعي كبعد آخر من أبعاد القوة المتعددة الذي يتجاوز القدرات العسكرية التي تستدعي إعادة النظر في توزيع القوة الدولية. إذا كان معهد ستوكهولم الدولي لأبحاث السلام يعد من أهم المؤسسات البحثية التي حددت متغيرات القوة الدولية في الناتج المحلي الإجمالي كقوة اقتصادية، الاحتياطات الدولية كقوة مالية، وحجم تقييمات الأمم المتحدة كقوة دبلوماسية، ومستوى الانفاق العسكري كقوة عسكرية؛ فإن العديد من التقارير العالمية للذكاء الاصطناعي كتقرير معهد ماكينزي العالمي McKinsey Global Institute عام 2018 وغيرها كثير، تحدّد بأن براءات الاختراع والذكاء الاصطناعي ومستوى التفاعل بين الإنسان والحاسوب في البلد هو مظهر جديد للقوة الدولية. (Granados, 2021, p. 6) يعتبر الذكاء الاصطناعي تقنية غير عادية نظراً لامتلاكه القدرة الفائقة على إعادة تشكيل النظام

الدولي، حيث أنه يعتبر بعداً جديداً من أبعاد القوة الذي فاق التحكم الذي كانت تمارسه القوة العسكرية والاقتصادية في العلاقات الدولية، خلق هذا البعد الجديد نقاشاً نظرياً حول التعريف الأداتي للذكاء الاصطناعي؛ بين امكانية اعتباره أداة هيمنة وبين المنظور الذي يعتد فيه وسيلة لإعادة التوازن للنظام الدولي من خلال إعادة توزيع القوة.

بالتالي، لقد برز الذكاء الاصطناعي كقوة تكنولوجية محورية في القرن الحادي والعشرين، ومن المتوقع أن تؤثر بشكل عميق على العلاقات الدولية. والجدير بالذكر أن دولاً مثل الولايات المتحدة والصين تتسابق بحماس لتأمين ميزة الابتكار العالمي في مجال الذكاء الاصطناعي، مدفوعة بإيمانها بقدرة التكنولوجيا على تعزيز الأمن القومي، وقد أثار هذا الحماس سباقاً يشبه غالباً سباق التسلح، على الرغم من أنه من الضروري إدراك النطاق المحدود لمثل هذا التطور في الذكاء الاصطناعي المرتبط بالمجال العسكري. (Efthymiou, 2023, p. 3) فمن جهة تشعر الولايات المتحدة الأمريكية بالضغط التنافسي في سوق الذكاء الاصطناعي، مجبرةً على الابتكار في تطبيقات الذكاء الاصطناعي العسكرية. وفي الوقت نفسه، تسعى الصين إلى ترسيخ نفسها كرائدة في مجال الذكاء الاصطناعي بحلول عام 2030، بينما تركز روسيا جهودها على الروبوتات. لقد أدت الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للذكاء الاصطناعي إلى قيام العديد من البلدان بتبني استراتيجيات وطنية للذكاء الاصطناعي. ومن الجدير بالذكر أن كندا، في عام 2017، كانت أول دولة تتبنى استراتيجية وطنية للذكاء الاصطناعي. (Efthymiou, 2023, p. 3)

من هنا يُمكن توصيف السباق حول الذكاء الاصطناعي بأنه عنوان للتنافس غير المنضبط حول امتلاك التكنولوجيا العالمية، فكلما وُجدت منظمة أو جهة تضبط هذا التنافس كلما ابتعدنا عن سرديّة الهيمنة واقتربنا من فرضية إعادة توزيع القوة.

اقترح تقرير صادر عن تشاتام هاوس Chatham House إطاراً شاملاً للأدوار المحتملة للذكاء الاصطناعي في صياغة السياسات والعلاقات الدولية. حيث يصنّف التقرير هذه الأدوار إلى ثلاث فئات: التحليلية analytical والتنبؤية

Predictive والعملية operational. ففي الدور التحليلي، يقف الذكاء الاصطناعي لأتمتة automate (تفعيل النظام التلقائي) لأجزاء كبيرة من صنع السياسة الخارجية. إن الذكاء الاصطناعي التنبؤي يؤثر على وجهات النظر طويلة المدى، مما يمكن صناع السياسات من فهم تداعيات أفعالهم. أما الذكاء الاصطناعي التشغيلي، وهو احتمال أبعد، ينطوي على أنظمة التشغيل الآلي والذكي للعمليات السياسية، صناعة القرار السياسي الخارجي مثلاً. (Efthymiou, 2023, p. 3) لقد جاءت خلفية إعداد هذا التقرير مؤكدة على ضرورة تمكين الدول من الأطر التشريعية والقانونية التي تضمن سلامة الاستخدام العقلاني والأخلاقي للذكاء الاصطناعي في السلوكيات الدولية.

بناءً على تصريح للمنظر الاقتصادي ميلتون فريدمان Milton Friedman، "لا يمكن أن تحدث تغييرات جذرية إلا إذا كانت هناك حالات استثنائية مقنعة مثل تسونامي والانفجارات والبراكين". إضافة لذلك نقترح بأن ما يفعله الذكاء الاصطناعي في النظام العالمي ليس تغييراً، بل تطورات عميقة ترسخت أكثر فأكثر ويمكن أن تساهم في تغييرات داخل النظام العالمي في المستقبل المنظور. فأحد أهم التطورات في النظام العالمي بسبب تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي هو: (Radhi, 2022, pp. 99-100)

-التطور في طبيعة الفواعل وبنية النظام العالمي، لقد ساهم الذكاء الاصطناعي في تقليص وظائف الدولة القومية، وتآكل الحدود والحوافز الجغرافية بين البلدان، وتحويل سيادة الدولة من السيادة الوطنية إلى سيادة الشعب، مع زيادة قوة الشركات العابرة للحدود الوطنية، وخاصة شركات التكنولوجيا العالمية مثل Apple ومايكروسوفت Microsoft وAmazon وGoogle وAlibaba وHuawei وTen cent. لقد أصبحت فواعل جيوسياسية قوية ومستقلة تشارك في التفاعلات الاقتصادية والاجتماعية وتعمل ككيانات تجارية. فهي تسعى إلى بناء قواعد للمستخدمين والشركات في المناطق ذات الأسواق ذات الأهمية التجارية والاستراتيجية. كما تمكنت من فرض السيادة على الفضاء الرقمي، بفضل قوة خوارزمياتها وخدماتها التي تقدمها لمستخدميها والتي وصلت إلى 4.7 مليار شخص في عام 2020 إلى عام 2023، فضلاً عن نفوذها وقوتها الاقتصادية ومنافسة الدول حيث تجاوز رأس مال هذه الشركات إجمالي الإنتاج المحلي لعدد

من الدول. كما تلعب الشركات التكنولوجية العالمية دوراً كبيراً في النظام العالمي بسبب أنشطتها الكبيرة واتساع نطاق أعمالها العابرة للحدود الوطنية، وميلها إلى التركيز الشديد واحتكار الإنتاج، وبالتالي قدرتها على تحقيق الأهداف والمصالح الاستراتيجية للدولة الأم. بالإضافة إلى ذلك ساهمت تقنيات الذكاء الاصطناعي في الآتي؛ أ- إعطاء الدول الصغيرة فرصة لأخذ مكانها في النظام العالمي. ب- إتاحة الفرصة للجماعات غير الحكومية والجماعات غير القانونية للعب دور في النظام العالمي من خلال قدرة هذه الجماعات على إضعاف وتهديد وظائف الدولة وتعطيل بعض أجهزتها بسبب قدراتها المالية الهائلة التي تمكنها من مواكبة وتوظيف التكنولوجيا المتقدمة المتمثلة في الذكاء الاصطناعي.

-الذكاء الاصطناعي والأمن الانساني

يعتبر عالم الذكاء الاصطناعي سيفاً ذو حدين، إذ يحمل في طياته تحديات جمة تؤثر على الأمن الإنساني، وخاصة على صعيد الأمن الاقتصادي. من أبرز هذه التحديات وأكثرها إلحاحاً هو خطر فقدان الوظائف، وما يتبعه من توترات اقتصادية واضطرابات في استقرار حياة الأفراد من خلال اتساع فجوة التفاوت. في الولايات المتحدة الأمريكية، على سبيل المثال، شهدت الإنتاجية ارتفاعاً يفوق نمو الأجور، في حين زادت الحصة الاقتصادية للنخبة التي تمثل 0.01% من المجتمع. يعود ذلك جزئياً إلى استبدال الشركات تكلفة العمالة بتكاليف الأجهزة والبرمجيات بفضل التقدم التكنولوجي المرتبط بالذكاء الاصطناعي، مما أدى إلى ركود الأجور رغم زيادة الإنتاجية. (Artificial Intelligence and Human Security: AI Strategy Analysis, 2019, pp. 65-66)

تظهر الآثار الاقتصادية للأتمتة بشكل مباشر من خلال فقدان الدخل، وهو ما يعرض المتأثرين لمخاطر مثل الفقر وارتفاع نسب البطالة على نطاق واسع، خاصة إذا لم يُوفّر لهم بدائل وظيفية أو لم تُتخذ تدابير اجتماعية تعوّض هذا الفقدان. ولا تقتصر التأثيرات على الجانب الاقتصادي فقط؛ بل تمتد بشكل غير مباشر لتشمل الغذاء، الصحة، وحتى الأمن السياسي. قد يؤدي تراجع الإيرادات الضريبية الناتج عن فقدان الوظائف إلى انخفاض حاد في تمويل الخدمات العامة، مما ينجم عنه عدم استقرار حكومي قد يهدّد الأمن السياسي. وبالتالي، تتطلب

هذه التحديات حلولاً شاملةً ومتكاملةً لتخفيف آثارها وضمان تحقيق التوازن بين التقدم التكنولوجي والاستقرار الاجتماعي والاقتصادي. (Artificial Intelligence and Human Security: AI Strategy Analysis, 2019, p. 66)

تشير إحدى الدراسات إلى أنَّ الناتج المحلي الإجمالي العالمي قد يشهد زيادةً تقدر بـ 15.7 تريليون دولار بحلول عام 2030، نتيجةً للتحويلات السوقية المرتبطة بتبني الذكاء الاصطناعي. مع ذلك، توضح الدراسة أنَّ هذه الزيادة لن تكون موزعةً بشكل متساوٍ عبر الأسواق. فمن المتوقع أن تستحوذ الصين على ما يقرب من نصف هذا النمو، بينما ستمثل أمريكا الشمالية نحو ربع القيمة الإجمالية، في حين سيتوزع الربع المتبقي بين مختلف الأسواق العالمية. في المقابل، ستواجه الأسواق الأقل تجهيزاً بموارد وتقنيات الذكاء الاصطناعي، لا سيما في الدول النامية، تداعيات مختلفة، حيث يتزايد عدد السكان بينما تستمر معاناة هذه الدول من فقدان الوظائف (Artificial Intelligence and Human Security: AI Strategy Analysis, 2019, p. 66).

هو أن يتحول الذكاء الاصطناعي إلى مصدر تهديد اجتماعي بالرغم مما تحققه نتائجه من تعزيز للنمو الاقتصادي.

فيما يتعلق بالأمن الثقافي والمجتمعي، بات من الضروري مواجهة التحديات الاجتماعية والثقافية والأخلاقية التي أفرزها تطبيق خوارزميات الذكاء الاصطناعي. يقتضي ذلك تطوير تلك الخوارزميات بشكل مسؤول ومتوافق مع القيم الثقافية، من خلال تعزيز قدرة أنظمة الذكاء الاصطناعي على التكيف لتلبية احتياجات المجتمعات متعددة الثقافات في عصرنا الراهن. (Natalia Ożegalska-Lukasik, 2023, p. 106)

و في الوقت نفسه، يرى عدد من الخبراء أنَّ التكنولوجيا الرقمية قادرة على إعادة تشكيل الأنماط الثقافية، مما قد يؤدي إلى ولادة حضارة جديدة. بناءً على ذلك، من المتوقع أن يخلف التطور في مجال الذكاء الاصطناعي آثاراً دقيقة على الأفراد والثقافات. يُمكن لهذا التطور أن يُنتج معرفةً جديدةً، ويُسهِّل الوصول إلى أنواع معينة منها، فضلاً عن تغيير قيمة بعض أشكال المعرفة وطرق التفكير السائدة. (Natalia Ożegalska-Lukasik, 2023, p. 111)

تقدر أضرار الجرائم الإلكترونية في عام 2021 بنحو 6 تريليون دولار، بمعدل زيادة 600 شخص تطالهم هذه الأضرار، منذ بداية جائحة كوفيد-19

في عام 2020. وتشمل أكثر من نصف الخروقات سرقة الهوية (65 ٪)، يليها الوصول إلى الحساب (17 ٪) والوصول المالي (13 ٪). مما يؤكد مستويات تأثير الرقمنة على أصحاب المصلحة المحتملين، ومن جهة أخرى أصبحت عملية تقييم الأحداث السيبرانية الجنائية والسياسية والتنمية عملية معقدة. (UNDP, 2022, p. 67) اذن وفقاً لهذه الأرقام نرجح الأثر العميق للذكاء الاصطناعي على فقدان الأمن المجتمعي للهوية الثقافية بالدرجة الأولى الذي سينجر عنه تفكك اجتماعي.

في مجال الأمن البيئي، تُستخدم تقنيات الذكاء الاصطناعي في قطاعات حيوية تشمل نمذجة المناخ، وإدارة الكوارث، والحفاظ على التنوع البيولوجي، وتخصيص الموارد بشكل مستدام. حيث يُسهم الذكاء الاصطناعي في تحليل البيانات، والتعلم الآلي، والنمذجة التنبؤية لتسريع الاستجابة وتعزيز الاستعداد لمواجهة التحديات البيئية المعقدة مثل التلوث، وتغير المناخ، والكوارث الطبيعية. كما يلعب دوراً مهماً في إدارة الكوارث، ومراقبة البيئة، وتحديد الاتجاهات للمساهمة في تعزيز استدامة النظم البيئية (Helal Ahmed Saif Abdulla, 2024, pp. 1-4). بالرغم من الإنجازات الإيجابية التي يحققها الذكاء الاصطناعي في المجال البيئي إلا أنها لا تزال غير كافية لحماية البيئة من مشكلة التلوث الرقمي الناتج عن استخدام النفايات الإلكترونية في عملية إعادة تصنيع الأجهزة الذكية.

خاتمة:

في النهاية يمكن القول أنّ العلوم السياسية المعاصرة تتجه نحو إعادة ترتيب أجندتها البحثية من جديد وفقاً للتغيرات التي تطرحها ديناميات العصر التقني بما فيها المخرجات الجديدة للذكاء الاصطناعي-سواءً بوصفها تحدياً أو فرصة-وانعكاساتها على مواضيع فروع الحقل، كالسيادة والديمقراطية وعملية صنع القرار السياسي ووظائف الدولة وبنية النظام الدولي والأمن الإنساني، فمن الضروري وكحتمية تاريخية لا بدّ من انفتاح الأطر المفاهيمية والنظرية التقليدية للحقل على الذكاء الاصطناعي باعتباره فاعلاً أساسياً والبحث عن أدوات جديدة لدراسة للظواهر السياسية:

1- على صعيد فرع النظم السياسية المقارنة أذكت تقنيات الذكاء الاصطناعي التحليل المقارن للنظم بشعلة من الأدوات الخوارزمية لتحليل البيانات المتصلة بالانتخابات والأداء الحكومي، وكذلك المساعدة على التنبؤ بالتحويلات السياسية ورصد اتجاهات الخطاب السياسي. لكن في المقابل، شكّل الذكاء الاصطناعي أداة فاعلة في إضعاف الديمقراطية وترسيخ مبادئ الاستبداد الرقمي، مما انعكس على تحوّل المفاهيم التقليدية للسياسة المقارنة نحو إعادة تشكيل العمليات السياسية والمؤسسات السياسية.

2- على صعيد حقل العلاقات الدولية النواة المركزية التي أصبغ عليها الذكاء الاصطناعي أبعاداً جديدة هو مفهوم القوة على اعتبار أنّ هذا الأخير مفهوم استراتيجي انعكس على بقية المفاهيم الأخرى المشكّلة للحقل، كميزان القوى وعملية صنع القرار السياسي الخارجي والصراعات الدولية وإعادة بناء النظام الدولي والتعاون الدولي، فمن يمتلك الذكاء الاصطناعي يتحكم في العالم اقتصادياً وسياسياً وأمنياً وجيو سياسياً. وكذلك له القدرة على التأثير وتحقيق النفوذ.

على ضوء ما سبق، يمكن القول أنّ إعادة النظر في الأجندة البحثية لحقل العلوم السياسية في ظل التنامي المتزايد للذكاء الاصطناعي، أصبح ضرورة أكاديمية وحتمية تاريخية وسياسية. لكن لا ننسى أنّ تحديث توازننا في المراجعة الشاملة للأجندة بمراعاة جانبيين أساسيين: لا نركّز على الجانب التقني إلى درجة تحويل الذكاء الاصطناعي إلى أداة للتحكّم والهيمنة والسيطرة خاصّة في بعض المفاهيم التي يمكن أن تُفَرِّغ من محتواها القيمي والأخلاقي كمفهوم الأمن الانساني، في المقابل لا نعرّز الجانب الانساني ونهتم به إلى درجة إغفال ما يقدمه الذكاء الاصطناعي للباحث في الحقل، وبالتالي نضيّع وعوده سواءً على مستوى الأساليب البحثية أو الانفتاح على رهانات جديدة فيما يخصّ المنهج والموضوع في العلوم السياسية.

في الأخير، تبدو الحاجة ملحة إلى أنّ تُرافق هذه الأجندة البحثية الجديدة جهوداً عملية لمواجهة المخاطر المحتملة من استخدامات الذكاء الاصطناعي في الظواهر السياسية. إن تضمين الذكاء الاصطناعي في حقل العلوم السياسية يفتح آفاقاً بحثية واعدة، لكنه يطرح في الوقت ذاته تحديات ابستمولوجية وأخلاقية وسياسية حاسمة. تتمثل إحدى الأولويات الراهنة للأجندة البحثية الجديدة في دراسة المخاطر المرتبطة باستعمالات الذكاء الاصطناعي داخل العمليات السياسية؛ من التلاعب بالمعلومات والقرارات، إلى الإخلال بمبادئ الشفافية والمساءلة. ومن هنا، تبرز الحاجة إلى التفكير في سبل التغلب على هذه المخاطر، سواءً عبر تطوير أطر قانونية تنظم استخدام الذكاء الاصطناعي، أو من خلال تعزيز الرقابة المستقلة والتصدي للانحياز الخوارزمي، فضلاً عن حماية الخصوصية وضمان أمن البيانات. كما يشكّل التثقيف السياسي والرقمي للمواطنين جزءاً أساسياً من هذه الاستراتيجية الوقائية. إن توجيه الذكاء الاصطناعي نحو خدمة الديمقراطية لا يتحقق إلا عبر إدماج هذه القضايا في صلب الأجندة البحثية المستقبلية للعلوم السياسية.

قائمة المراجع:

- Artificial Intelligence and Human Security: AI Strategy Analysis. (2019, July). *Presented in partial fulfilment of the requirements for the Degree of International Master in Security, Intelligence and Strategic Studies*, 65-66.
- ALACA, A. İ. (January 2019). The Effect of Artificial Intelligence Technology on Politics and International Relations. In *Selected Discussion on Social Science Research* (pp. 12-13). Front page Publication.
- Azeddine, H. g. (2024, June). Conceptual Foundations of Artificial Intelligence. *El-Manhel Economy*, 07 (01), 1216.
- Battista, D. (2024). Political communication in the age of artificial intelligence: an overview of deepfakes and their implications. *Society Register*, 8(2), 10.
- Brkan, M. (2019). Artificial Intelligence and Democracy: The Impact of Disinformation, Social Bots and Political Targeting. *Delphi*(2), 66.
- Chan, G. A. (JULY 2017). *Artificial Intelligence and National Security*. Cambridge: Belfer Center for Science and International Affairs. Harvard Kennedy School.
- Cummings, M. L. (June 2018). *Artificial intelligence and international affairs: disruption anticipated* . Chatham House report.
- Djeffal, C. (2022). Role of the state and responsibility in governing artificial intelligence: a comparative analysis of AI strategies. *Journal of European Public Policy*, 1801.
- Duberry, J. (2024, September). Understanding the links between multilateralism & democracy To tackle global challenges more effectively: Artificial Intelligence and Democracy. *Geneva Graduate Institute*, 3-4.
- Efthymiou, C. M.–P. (2023). Artificial Intelligence and its Impact in International Relations. *Journal of Politics and Ethics in New Technologies and AI*, 2(1), 3.
- Gallarotti, G. M. (2015). Smart Power: Definitions, Importance, and Effectiveness. *Journal of Strategic Studies*, 38 (3), 259.
- Granados, O. M. (2021). Artificial Intelligence and International System Structure. *Revista Brasileira de Política Internacional*, 64(1), 1-2.
- Helal Ahmed Saif Abdulla Alblooshi, H. S. (2024). Impact of Artificial Intelligence (AI) on Environmental Security (ES) of Post-Pandemic Covid-19: A Literature. Review Study. *Research in Management of Technology and Business*, 5 (1).
- Jafarova, L. A. (2024). Political Institutions in Times of AI, and Ethical Aspects of The Digitalization in Politics. *Polish Political Science Review*, 12(1), P.58 and p.66.
- Kirdemir, C. K. (May 2019). *WARS OF NONE:: ARTIFICIAL INTELLIGENCE AND THE FUTURE OF CONFLICT*. Centre for Economics and Foreign Policy Studies.
- KOUROUPIS, K. (2023, December). AI and politics: ensuring or threatening democracy? . *Juridical Tribune*, 13(4), 575-576.

- M. L. Cummings, H. M. (June 2018). *The Royal Institute of International Affairs: Disruption Anticipated*. Chatham House Report, London.
- Marianne Kneuer, H. V. (2019). The Digital Revolution and its Impact for Political Science. *Political Science and Digitalization – Global Perspectives*, p.7 and p.10.
- Natalia Ożegalska-Lukasik, S. Ł. (2023). Culturally Responsive Artificial Intelligence – Problems, Challenges and Solutions. *Intercultural Relations*, 14(2), 106.
- Norvig, S. R. (2010). *Artificial Intelligence A Modern Approach* (Third Edition ed.). USA : Pearson Education.
- Radhi, Z. M. (2022). Artificial Intelligence and Evolution of the Global System. *IPRI Journal*, XXII (1), 99-100.
- Rajaraman, V. (2014, July). John McCarthy – Father of Artificial Intelligence. *Asia Pacific Mathematics Newsletter*, 4 (3), 17.
- Singh, S. T. (2024, March). Political Theory and Rise of Artificial Intelligence. *Journal of Emerging Technologies and Innovative Research (JETIR)*, 11(3), 332-333.
- Stephan De Spiegeleire, M. M. (2017). *What is Artificial Intelligence?* . Hague Centre for Strategic Studies.
- Stepien, T. (2016). Technological Turn and the New Framework of International Relations. In *New Technologies as a Factor of International Relations Edited by Monika Szkarlat and Katarzyna Mojska* (p. 2). Newcastle: Cambridge Scholars Publishing.
- Straub, V. J. (n.d.). *Artificial intelligence in government: Concepts, standards, and a unified framework* P.5. Retrieved 12 22, 2024, from bit.ly/3Qxly6K
- UNDP. (2022). *Digital Technology's Threats to Human Security* . New Threats to Human Security in The Anthropocene: Demanding greater solidarity. Special report, New York.
- Ünver, H. A. (July 2018). *Artificial Intelligence, Authoritarianism and the Future of Political Systems*. Centre for Economics and Foreign Policy Studies.
- Usman, H. (n.d.). The Future of State Sovereignty in the Age of Artificial Intelligence. *Journal of Law & Social Studies (JLSS)*, 5(2), 144-145.
- Valladão, A. G. (September 2018). *Artificial Intelligence and Political Science*. Rabat. Morocco: Policy Center.
- Wright, N. D. (2019). Artificial Intelligence and Domestic Political Regimes: Digital Authoritarian, Digital Hybrid, and Digital Democracy Air University Press. 2019. P.24-23. *Air University Press* , 24-23.